سينما

«مبنى أبيض» كمبوديّ

جماليات مصنوعة بأسلوب تقليدي

في «مبنى أبيض» يرفع الكمبودي كافيتش نينغ بطاقة حمراء ضد الشركات العقارية المتوحشّة، عبر قصة أب وابنه في مواجهة الذاكرة واللحظة والغد

عبد الكريم قادري

يتناول الفيلم الكمبودي «مبنى أبيض» (2021)، لكافيتش نينغ، الصراع بين الحداثة والأصالة، وبين القديم والجديد، وبين العجلة المُسرعة للاقتصاد والدروب الملتوية للإنسانية. ثنائيات ضدّية، تُعرّف ماهية الأشياء وقيمتها، بالإضافة إلى مفارقاتٍ أظهرت هشاشة الإنسان وتقلّباته، خاصة مع أيّ مواجهة محورية تُهدّد حيّزه الآمن، الذي عمل سنيّ عمره على إحاطة نفسه وأسرته به، للاحتماء من مخاطر خارجية.

يصدف أنْ تتشكّل هذه المسائل في قوالب، لم يُحسب لها حساب، فتُختَار المواجهة اليائسة، التي تشبه صورة كاريكاتورية عن نملةٍ تواجه فيلاً، فتُحسم النتائج قبل أنْ تبدأ. هذا حدث في «مبنى أبيض» . المُشارك في مسابقة «آفاق»، في الدورة الـ78 (1 . 11 سبتمبر/أيلول 2021) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي»، التي منحت بَيست تْشون جائزة أفضل ممثل. فشخصياته مأزومة ومُحاصرة بمشاكل مستحدثة، عاكسة صراعات أفرزها الواقع المُتغيّر والمتنامي، والمتوجّه إلى تحوّلات كبرى، انطلاقاً من واجهات فضفاضة، مدفوعة بشعارات التطوّر، حوّلها نينغ . في فيلمه هذا (السيناريو له أيضاً، مع دانيل ماتس) . من مفاهيم وشعارات الى مجتمع ينبض بالحياة، انطلاقاً من مبنى تسكنه عائلات عدّة، يُفاجأ أفرادها بقرار السلطة بضرورة إخلائه، مقابل مبالغ مالية زهيدة، لا تكفي لشراء منازل في الضواحي. تحتار العائلات ويتشتّت تفكير أفرادها، وتبدأ مواجهة يائسة تقود الجميع إلى الفشل، فالطرف الآخر تُمثّله شركات عقارية كبرى، تملكها بلدان قوية، حاصرت كمبوديا بحزام اقتصادي قوي، سحب منها روحها واستقلاليتها وحضارتها، من أجل التطوير ومسايرة العصر والحداثة، التي تسلب أرواح الأشياء، تاركة إياها واجهاتٍ جافة.

ضبط نينغ إيقاع قصّته في عينيّ سامْننغ (بَيست تْشون)، الذي وجد نفسه محاصراً بمشاكل عدّة، بدءاً من مشكلة المبنى الذي تقطنه أسرته. رفض والده (هوت سيثورن) . الذي اختير للتحدّث باسم السكّان في مفاوضاته مع السلطات . المبلغ الزهيد الذي عرض عليهم، في مقابل أناسٍ وافقوا وقبضوا ورحلوا. ظلّ الوالد يواجه ذكريات الماضي، التي صنعها في بيته. يعرف أنّه سيُرَحّل حتى لو رفض، لكنّه تشبّث بخيار المواجهة، الذي تعلّمه في شبابه حين بدأ مع آخرين في تشييد «بنوم بنه»، لكنّهم لم يعرفوا حينها أنّ المدينة، التي كانت مزدهرة يوماً ما بفضل أفعالهم لها، ستلفظهم اليوم، وتطردهم خارجها، كأنّهم لم يُقدّموا شيئاً.

سامْننغ يرى الألم النفسي، والألم الجسدي أيضاً، الذي يعانيه والده بسبب إصابة قدمه بمرض خطر، ومع هذا رفض العلاج وإجراء عملية جراحية بسبب التكاليف، فعالج نفسه بطريقة تقليدية، لكنّ الجرح كبر، وباتت القدم معرّضة للبتر. في حالة كهذه، نسي سامْننغ الخارج لتوّه من المُراهقة إلى الشباب، حُلمه بتأسيس فرقة موسيقية، ومطاردة الجميلات. تفرّق أصدقاؤه، إذْ سافر بعضهم مع العائلة إلى الخارج، وآخرون ذهبوا في حال سبيلهم، فاختفى الحلم، وبات سامْننغ يواجه مباشرةً الواقع وتفاصيله المرّة، كالبطالة وقلّة الفرص، ثم بداية صراع البقاء.

> دلالات عدّة تُشير إلى معان مضبوطة فتصنع لغة متينة

كافيتش نينغ في «لا موسترا 2021»: بطاقة حمراء ضد شركات عقارية (مارك بيساكي/Getty)

يرفع كافيتش نينغ ورقة حمراء في وجه الشركات العملاقة، والاستثمارات التي تسحق القاع لتحقيق أرباح مالية ضخمة، من دون مراعاة ظروف الإنسان وقيمه. لا تعترف الشركات بأي موروث، مهما كان حجمه، وتدوس على أي قيمة تراثية، ولا يهمها الإنسان إطلاقاً. في سياق فيلمه، قدّم نينغ دلالات عدّة تُشير إلى معانٍ مضبوطة، قوّى بها موقفه الفني، وخلق بها لغة سينمائية قوية، جاعلاً الأب رمزاً للماضي والذاكرة التي تعاني، والتي تحمي الجدران من النسيان، وتعرف قِيم الفرد، وتبقى وفية لمن بنى المدينة التي تلفظه الآن. يعكس الأب قِيم الماضي ومبادئه وأسسه وروحه، ويساريته أيضاً، فهو لا يريد أنْ يخسر منزله المليء بذكرياته، ولا المبنى المنتمي إليه كفرد . جزء من المجتمع، في مُقابل فُتاتٍ لا يساوي شيئاً. كان بوسعه عقد صفقة ثنائية بينه وبين المسؤول، لكنّه رفض بيع قضيته، تاركاً إياها لمصيرها المحتوم. أما سامْننغ، فيمثّل الحاضر والمستقبل، ويرمز إلى الغموض الذي يواجه الشباب، وأحلامهم الموؤودة بسبب الاستثمارات، ويواجه المشاكل التي تحاصر الحلم وتبيده باكراً، قبل عثوره على فرصة تحقيقه.

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

حوار

أجراه
سعيد المزواري

يُكمل المغربي طارق بنبراهيم، في الجزء الثاني من حوار «العربي الجديد» معه، تفاصيل عن علاقته بالسينما والموسيقى وآليات الاشتغال الفنّي

طارق بنبراهيم [2/2]

«الفنّ عمل شاق وجهد كبير وتركيز فائق»

■ كيف جاءتك فكرة تحقيق فيلمٍ عن سيمون شاهين؟

قابلته عام 1991، عندما كنتُ أدرسُ السينما في نيويورك. كنتُ أعزف العود، لأنّي درسته في المعهد الموسيقي في المغرب. عزفت العود في فرقته لفترة معيّنة. بفضله تعلّمت الموسيقى العربية الكلاسيكية الحقيقية، بمقاماتها وإيقاعاتها، إذ ينتمي إلى مدرسة الموسيقى العربية الأصيلة. عرفته أعواماً عدّة، وكنت أتساءل دائماً لماذا لا يوجد فيلمٌ عنه. مرّت الأعوام، وعدتُ إلى المغرب. بينما كنتُ أبحث عن شخصية عربية أصنع فيلماً عنها، فكّرت به فوراً. في الثقافة العربية عامة، ننتظر رحيل الناس لإنجاز أفلامٍ عنهم. نقابل أصدقاءهم، وأولئك الذين كانوا يرافقونهم، ليخبرونا حكايات عنهم. نحن حقاً نحبّ ثقافة الإسناد و«القيل والقال».

بالنسبة إليّ، لا قيمة لكلّ ذلك. قلتُ لنفسي إنّ سيمون شاهين يجب أن يتحدّث عن تجربته بنفسه. كان هناك شيئان مهمّان: أن يروي أفكاره وتصوّراته للأشياء، وأن نشاهده في العمل. العمل يتحدّث أقوى من الكلمات. عندما تشاهد شخصاً يعمل، تحصل على فكرة أمثل عن فلسفته. نفتقد حقّاً أفلاماً توثّق مقاربة اشتغال الفنانين، خصوصاً في الموسيقى. أنْ تَحضر تسجيلاً مثلاً، هذا سحر خالص.

■ في الواقع، تسجيل البروفات جوهر الفيلم.

مهمٌّ لي أن أسجّل لحظاتٍ كهذه، سمح سيمون بالنفاذ إليها. ضروريّ أن يتمكّن العالم العربي من بلوغ عمق فنّه، لأنّ أفضل موسيقى عربية كلاسيكية اليوم، برأيي، تُعزف في الولايات المتحدة الأميركية. لجأ أفضل عازفي الموسيقى العربية . لبنانيين وفلسطينيين ومصريين . إلى هناك، بعد الحروب والاضطرابات المتتالية في الشرق الأوسط، في التسعينيات الماضية والعقد الأول من القرن الـ21. هناك ائتلفوا في مجموعات موسيقية، ودرسوا الموسيقى العربية بعمق، وفكّكوها وحلّلوها جيداً، واكتسبوا مكانة أكاديمية. هذا لأنّ الأميركيين يستمعون إلى موسيقى الثقافات كلّها من دون أفكار مسبقة. لا يجدون غضاضة في الاعتراف بما يروقهم.

كنتُ أرغب في مشاركة هذه التجربة برمّتها مع الآخرين، ولا توجد طريقة أفضل من صنع فيلم عنها. الفكرة الأصلية كانت في إعطاء الكلمة لسيمون شاهين، لأنّه إذا لم يوجد الفيلم في 10 أو 15 عاماً، فسيكتفي الناس بالذهاب إلى «يوتيوب» ليقولوا: «آه، سمعتُ عنه. إنّه يعزف جيداً». بينما إنجازاته في نقل المعرفة وإعادة تأهيل الموسيقى العربية سيلفّها النسيان، لا سيما جهوده المتعلّقة بنقل الموسيقى العربية من حالة «إما أن تكون تعرف كيفية عزف التقاسيم، أو لا تكون» إلى وضعية تمكّن المرء من دراسة التقاسيم، وفهم المقامات. عندما تسعى إلى عزف «كونشيرتو رقم 21» لموزارت، أو سيمفونية معيّنة لبيتهوفن، تجد مؤلّفات كاملة عنها على الإنترنت، وتاريخها، وكيفية عزفها، وكل التفاصيل. بينما لدينا معطيات نادرة عن كيفية عزف محمد عبد الوهاب، أو القصبجي، موسيقاه. المُحزن أن تتوفّر الموسيقى العربية على كل هذا الثّراء، بينما لا يوجد معهد واحد في العالم العربي برمّته يُمكنك فيه أن تدرس الموسيقى العربية بشكل صحيح، كما يوجد في الولايات المتحدة.

■ يدلّ «أسرايفي»، الذي يدور في بلدتك الأصلية، و«سيمون شاهين»، الخاص بشغفك بالموسيقى العربية، على أنّ الارتباط الحميم بمواضيعك ضروري لعملك الوثائقي.

طبعاً. هذه أشياء تؤثر فيّ بشدّة. إنّها أفضل بوصلة لقرار صنع فيلم. عندما يتعيّن عليك الاستيقاظ الساعة 5 صباحاً، ودرجة الحرارة ناقص 5، لتصوير مشهد، الأفضل أن تختار مواضيع وأشياء تحبّها. كوننا استطعنا السفر مع شاهين لتصوير الفيلم، مع كلّ الصعوبات التي تحمّلناها، فذلك عائدٌ فقط إلى أنّي أحبّ هذا العمل. الرابط ضروريّ لي. مثلاً، إنجازي مقابلة مع كياروستمي، لقرص «دي في دي» خاص بـ«كلوز . آب» (المقابلة موجودة في نسخة مطبوعة في «كرايتيريون»، صدرت عام 2010 . المحرر) يعكس حقيقة أنّه أحد الأفلام النّادرة التي أحضرتها معي عندما عدتُ من الولايات المتحدة، وشاهدته مرّات عدّة. عندما ذهبت لإجراء المقابلة، كنتُ أكثر استعداداً مما كنتُ أعتقد. الموسيقى والسينما، بالنسبة إليّ، ينتميان إلى جذر شغف واحدٍ. تعلّمتهما في الوقت نفسه تقريباً.

سيمون شاهين، كأسرايفي، شخصٌ يعمل. أنْ تكون مع شخصية تشتغل كل يوم، هذا يصنع مادة جيدة لفيلمٍ، خصوصاً أنّ كليهما يطمح إلى التميّز من دون غشّ.

■ أخبرتني أنّه من التقاليد الأميركية تكريس أفلامٍ وثائقية لأشخاصٍ يعملون بجدّ، كما فعل الأخوان مايزلز مع مندوبي البيع.

بالتأكيد. ستادز تيركل، الصحافي الأميركي المشهور، ألّف كتاباً بعنوان «العمل»، جمع فيه مقابلات . أجراها في جولة له في الولايات المتحدة . مع أشخاصٍ حول ما يفعلونه طوال اليوم، وكيفً يشعرون حيال ما يشغلونه من وظائف: ممثّلون، مزارعون، مومسات، مُدرّسون، نُدُل، وغيرهم. إنّه نوعٌ من الاحتفال بقيمة العمل. يُمكن للعامل أن يكون موسيقياً أيضاً. لدينا فكرة مسبقة عن الفنّان أنّه شخص لا يستيقظ حتى مغيب الشمس، ليعمل بضع دقائق فقط، قبل ذهابه إلى اللّهو والسهر، ثم النوم مُجدّداً، وأنّ الإلهام مهمّ للفنّ. لا. الفنّ عمل شاقٌّ قبل كلّ شيء، وجهد كبير، وتركيز فائق. إنّه عمل يتطلّب بين 12 و16 ساعة يومياً، لتحقيق أشياء مُرضية.

■ ماذا أفادتك معرفتك بالموسيقى، خصوصاً في ما يتعلق بالانتقال السلس بين المَشاهد، إذ نشعر أنّك تُضحّي بكلّ شيء من أجل استرسال الموسيقى، فينتهي بك الأمر، أحياناً، بملابس الشخصيات التي لا تتناسب في المشهد نفسه، بينما الموسيقى مترابطة؟

تُتيح لي معرفة الموسيقى القيام بالمونتاج الصحيح، ومعرفة مكان القطع. حتّى من أجل مشهد ارتجال مقطوعة أو تقسيمها، عليك أن تحرص جيداً بشأن المكان الذي يُمكنك القطع فيه. عندما ترتجل، عليك أن تمرّ بتتابع ما يُسمّى بالأجناس. مثلاً: راست ثم سيكاه ثم جهاركاه والنوا. عليك اتّباع هذا المنطق في المونتاج، إذا أردْتَ تقليص المشهد من دون تشويه القطعة.

في ما يتعلق بالملابس، هذا يتأتّى من حقيقة أننا صوّرنا جلسات تدريبية عدّة على الموسيقى نفسها. هناك قاعدة رائعة في إنجاز الفيلم الوثائقي، تقول إنّه حتّى لو تكرّر الفعل نفسه مرّتين أو ثلاث، يجب دائماً تصويره. لأن ما ستحصل عليه في تصوير اليوم، لن يشبه أبداً ما ستقوم بتصويره غداً أو بعد 3 أسابيع. حتى المقابلات، أحاول إجراءها مرّتين أو ثلاث مرّات عموماً، لخلق القليل من التطوّر. ذلك القوس نفسه الذي نستخدمه في القصص التخييلية، لنشعر بتغيّر الشخصية طول الفيلم. عليك أن تنتبه إلى هذا.

تساعد الموسيقى كثيراً، بطريقة لاشعورية، على تشكيل الإيقاع. بالنسبة إليّ، دائماً الموسيقى أهمّ بكثير من الصورة. ضحّيتُ غالباً بالصورة لصالح الموسيقى، من دون أن يعني هذا أنّي لا أولي أهمية للصورة.

■ كيف كانت تجربة بثّ الفيلم على قناة «الجزيرة»، ثم في «مهرجان وودستوك للفيلم»؟

بعد بثّه على «الجزيرة»، اتّصل بي مشاهدون من فلسطين والولايات المتحدة وأماكن أخرى. بعثوا لي رسائل جميلة جداً، ليُشاركوا معي ما أثاره الفيلم فيهم. عندما أرسلته إلى «وودستوك»، اختاروه فوراً، ثم سألوني عمّا إذا كان سيمون شاهين يرغب في المجيء والعزف بعد عرضه. أخبرته بذلك، فوافق.

المثير للاهتمام أنّ الفيلم افتتح المهرجان في صالة تتسع لـ400 شخص، كانت ممتلئة. رائعٌ أن تعيش ردّ فعل الجمهور مباشرةً على الفيلم، خصوصاً على مشاهد محدّدة منه. المذهل قبل كلّ شيء رؤية فنّانين يخرجون من الشاشة ليقدّموا عرضاً موسيقياً أمام الجمهور: سيمون شاهين وفراس زريق وطارق رنتيسي.

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

سيمون شاهين

في الجزء الأول من حوار «العربي الجديد» معه (18 فبراير 2022)، تحدّث المغربي طارق بنبراهيم عن «أسرايفي في مياه فِكيك» (2021)، الذي رافق فيه العربي أولعابد، مُتصرّف مياه نبع «تزادرت». في الجزء الثاني، يغوص، عبر «سيمون شاهين: موسيقى، فكر وفلسفة» (2018)، في الموسيقى التي يعشق ويعزف بعض آلا تها، مُبيِّناً أهمية إنجاز وثائقيات عن فنانين، لا سيما الموسيقيين منهم، في حيا تهم، لا بعد رحيلهم.